

## الغنى والفقر

"كان إنسان غني ، وكان يلبس الأرجوان والنبز ، وهو يتنعم كل يوم مترفهاً ، وكان مسكين اسمه لعازر ، الذي طُرح عند بابه مضروباً بالقروح ، ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني ، بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه . فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ، ومات الغني أيضاً ودُفن . فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذاب ، ورأى إبراهيم من بعيد ، ولعازر في حضنه" (لو 16 : 19 - 23) .

معظم الذين يقرأون الكتاب المقدس ، يعرفون مَثَل الغني ولعازر. إنه مَثَل لا يمكن أن يُنسى . والمثل مصوّر بطريقة حية تجعلنا نتخيل أننا عايشناه ورأيناه. لكن هناك ما يدعو إلى الدهشة في هذا المثل ، وهناك أيضاً ما يمكن أن نتعلمه من دروس روحية فالآلاف يعرفون كل كلمة في هذا المثل لكنهم لا يفكرون إطلاقاً في تطبيقه على أنفسهم . أسألكم أن تتأملوا في أهم الحقائق التي يعلمها لنا هذا المثل ، وسوف أتأمل فقط في النص المُقتبس عليه (لو 16 : 19 - 23)، راجياً أن يثبت الروح القدس هذه الحقائق في نفوسنا .

### **1 - إن الله يضع كل واحد من البشر في ظروف مختلفة عن الآخرين :**

يا له من اختلاف هائل بين الرجلين في هذا المثل . يتحدث الرب يسوع عن رجل غني جداً وآخر متسوّل . واحد يمتلك الكثير من الخيرات العالمية ، والآخر لا يمتلك شيئاً ، رغم إن كلا منهما ابنُ آدم ، وكلا منهما ينتمي إلى نفس

العائلة البشرية ، وكلا منهما يعيش في نفس البلد ، وتحت حكم نفس الحكومة . ورغم ذلك كله ، فهناك اختلاف كبير بين ظروف كل منهما .

يجب علينا أن ننتبه ، لئلا نقرأ في المثل دروساً لم يقصد المثل أن يعلمها لنا. فالأغنياء ليسوا دائماً أشراراً ، وليسوا دائماً في طريقهم نحو الجحيم . والفقراء ليسوا دائماً صالحين ، وليسوا بالضرورة في طريقهم إلى السماء . فلست خاطناً لكونك غنياً ، أو فقيراً ، فالرب يسوع هنا لم يمتدح ظروف أي منهما ، لكنه ببساطة يصف الأمور كما هي عليه في العالم .

من المؤلف جداً أن تعلم أن البشر يجب أن يكونوا متساويين ، لكن - مادام العالم في وضعه الحالي - فإن هذا التساوي لن يحدث أبداً . وطالما وجد في العالم بعضُ حكماء والبعض الآخر جهلاء ، البعض أقياء والبعض ضعفاء ، البعض أصحاء والبعض مرضى ، البعض نشيطون والبعض متاكسلون إلى غير ذلك من العوامل الأخرى الكثيرة ، فلا بد أن يكون هناك دائماً بعضُ أغنياء والبعض الآخر فقراء . وإلى أن تزول الخطية تماماً من العالم ، وتصبح قلوب البشر جديدة ومقدسة ، فلا يمكن أن تكون هناك سعادة عامة أو مساواة تامة ، ولا يمكن لحكومة أو سياسة أو تربية ما أن تؤدي إلى ذلك .

لكن هذا لا يعني ألا نحاول مساعدة الفقراء ، أو نغيّر الأوضاع ، لكن يجب أن ندرك أنه إلى أن يجيء الرب يسوع المسيح ثانية ، سوف يكون في العالم دائماً أغنياء وفقراء .

## 2 - إن الوضع العالمي للشخص ليس دليلاً على حالته الروحية :

يعتبر الكثيرون أن وضع الإنسان الغني هو الوضع النموذجي. إنه يبدو وكأنه يمتلك كل ما يتمناه قلبه ، لكن الحقيقة أن ذلك الإنسان الغني ، كان في فقر شديد. عندما زالت منه كل الأشياء الجميلة ، التي له في هذه الحياة ، لم يجد شيئاً ليأخذه معه إلى الحياة الآتية . لقد امتلك ثروة هائلة على الأرض ، لكن لم يكن له كنز في السماء . كان له الكثير من الملابس الأنيقة لكنه لم يمتلك ثوب البر . كان له أصدقاء كثيرون على الأرض ، لكن لم يكن له صديق ولا شفيع عن يمين الله . وهو لم يتذوق أبداً خبز الحياة ، وعندما رحل عن بيته الفخم ، لم يجد بيتاً يذهب إليه في السماء . إن غناه لم يكن حقيقياً ، لأنه كان بدون مسيح ، وبدون إيمان ، وبدون غفران ، وبدون قداسة، وعندما مات ذهب إلى الجحيم . لقد كان هذا الغني - بالحقيقة - في فقر شديد .

ومن ناحية أخرى ، لم يمتلك لعازر شيئاً في العالم . لقد كان في حالة يصعب تصوّرها من الفقر والبؤس الشديد ، لكن بمفهوم وتأمل أعمق، كان لعازر غنياً . فقد كان ابناً لله ، له ميراث في السماء

وكان يمتلك غنى حقيقياً وأبدياً . لقد كان يمتلك أفضل الملابس وهي برّ المسيح ، وكان له الله نفسه أفضل الأصدقاء، وكان يتغذى على أحسن طعام أي خبز الحياة . وكل هذه الأشياء بقيت معه إلى الأبد ، في حياته وبعد موته أيضاً . إذاً ، لم يكن لعازر فقيراً ، بل كان غنياً حقاً .

ثرى إذن يا صديقي أننا يجب أن نقيّم الناس بمقاييس الله ، وليس بمقاييس هذا العالم . إن الشحاذ المُجدّد له كرامة في عيني الله، أكثر من رئيس جمهورية أو رئيس وزراء غير مُجدّد. قد يكون الإنسان عظيماً ومحل الإعجاب لوقت ما ، ولكنه بعد ذلك يختبر الظلام والبؤس إلى الأبد . وقد يكون إنسان آخر مُحترقاً في هذا العالم، لكنه يقضي الأبدية في مجد مع المسيح . فالغنى والعظمة لا يعنيان رضى الله . أنهما غالباً ما يكونان عائفاً وشركاً لنفس الإنسان، فيجعلانه يحب العالم وينسى الله . كما أن الفقر والتجارب ليسا دليلاً على غضب الله ، أنهما في الغالب بركات خفية ، أرسلها الله في محبة وحكمة ، حتى تفتطم الإنسان عن العالم ، وتعلّمه أن يضع قلبه على الأشياء السماوية . إنها أرسلت لكي تُظهر للخطيئ فكر قلبه ، ولتجعل شعب الله مُثمراً في أعمال صالحة .

إن أعظم أسرار السعادة في هذه الحياة ، أن يكون لك روح القناعة . تذكر باستمرار أن هذه الحياة ليست مكان المكافأة ، وعندما يأتي يوم الدينونة ، سيوضع الكل في نصابه الصحيح ، عندئذ سوف يظهر بوضوح ، الاختلاف العظيم بين أولئك الذين يخدمون الله والذين لم يفعلوا .

### 3 - الغني والفقير ينتظرهما القبر دون تمييز :

بالرغم من وجود اختلاف كبير في حياتهما ، فإن كلاً من الغني ولعازر واجها نفس المصير . كلاهما قد مات ، وهذا مصير كل إنسان على وجه الأرض ، وسوف يكون مصيرك أنت أيضاً ، إذا لم يأت الرب يسوع في مجده قبل ذلك . والموت هو العدو العظيم الذي لا يستطيع أحد أن ينتصر عليه . لأنه لن يستثنى أحداً ، ولن يوقر أحداً . ولن ينتظر حتى تكون مستعداً . فسوف يأتي في الوقت الذي قد حدّده الله .

كل الناس يعرفون هذه الأمور ، لكن معظمهم لا يشعرون بها كحقائق ، ولو شعروا بذلك لتصرّفوا بمقتضاها . يا لها من حماقة ، أن نضع قلوبنا على هذا العالم المائت ، وشهواته التي لن تستمر طويلاً ، فنفقد الحياة الأبدية .

#### 4 - إن نفس المؤمن ثمينة جداً في نظر الله :

إن نفس المؤمن ثمينة جداً في نظر الله . لقد مات الغني ودُفن . ربما رُئيت له جنازة فخمة ، لكننا نقرأ بعد ذلك أنه كان في العذاب . وبالتأكيد لم تُهيا للعازر جنازة فخمة مماثلة ، لكن الملائكة حملته إلى الراحة ، إلى حضن إبراهيم . هذا الجزء من المثل يساعدنا على فهم العلاقة بين المؤمنين والله أبيهم . إن هذا الجزء يظهر القليل بل والقليل جداً من الرعاية ، التي يوليها ملك الملوك لأقل وأبسط تلاميذ المسيح .

لا أحد له من الأصدقاء والرفاق مثل المؤمن ، فالملائكة يبتهجون عندما يُولد ثانية ، ويحفظونه في العالم ، ويتعهدون نفسه عند الموت ، ويحملونه إلى وطنه بسلام . وبالرغم من أنه قد يرى نفسه كتافه وحقير ، لكن أفقر وأحقر مؤمن ، سيكون موضع اهتمام الأب في السماء اهتماماً أعظم جداً من أن يدرك . الرب أصبح راعيه، لذا فلن يعوزه شيء (مز 23 : 1) .

وعندما يأتي الإنسان بإخلاص إلى المسيح ، فإنه يحصل على كل امتيازات وضمائنات العهد ، فخطايه تغفر كلها ، وقلبه يتجدد، وجهالاته سيحملها المسيح ويعلمه الحق ، ويكون معه كل حين . لا يمكن أن يضره شيء ، إلا بإسماح من الله . بل إن كل من يضطهده ، يكون مُضطهداً للمسيح نفسه (أع 26 : 15) وكل التجارب التي يتعرض لها محكومة بحكمة ، وكل الأشياء تعمل معاً لخيره . وعندما يكمل عمله ، تأتي ملائكة الله وتحمله بأمان إلى دار المجد .

أيها القارئ المؤمن ، إنك لا تدرك بعد الأبعاد الكاملة لامتيازاتك وميراثك . تعلم أن تحيا بإيمان أكثر . أعرف الكنز العظيم الذي ينتظرك في المسيح الآن .

#### 5 - الأنانية خطية خطيرة ومدمرة للنفس :

**أخيراً** - أريدك أن تلاحظ، كيف أن خطية الأنانية خطيرة ومدمرة للنفس . فإن ذلك الرجل الغني لم توجد في حياته الظاهرة، أي خطية . لم يكن قاتلاً ولا سارقاً ولا زانياً ولا كاذباً ، ومع ذلك ذهب إلى موضع العذاب . لذلك يجب أن نتعلم دروساً من ذلك :

**1** - يجب أن نحترس من أن نحيا لأنفسنا فقط . لا يكفي أنك تستطيع أن تقول: " أنا أحيا حياة لائقة ، أنا أقوم بواجبي في كل مجالات الحياة " . إن السؤال هو : هل تحيا لنفسك أم للمسيح؟ ما هو

هدفك ودافعك في الحياة ؟ هل لم تعد تحيا لنفسك ، بل لذاك الذي مات من أجلك (2كو5 : 15) . إذا كنت كذلك الرجل الغني ، تحيا لنفسك فقط ، فسوف تهلك .

2 - يجب أن نتعلم خطورة ألا نعمل ما يجب علينا أن نعمله . فالرجل الغني لم يكن في العذاب من أجل شيء عمله ، ولكن من أجل ما لم يعمله . لقد ترك لعازر عند بابيه . ففي يوم الدينونة ، سوف يقول المسيح للكثيرين : " جُعت فلم تطعموني ، عطشْتُ فلم تسقوني ، كنت غريباً فلم تأوونني ... " (مت 25 : 42-43) .

3 - يجب أن نتعلم أن الثروة تحمل معها أخطاراً معينة ، فالكثيرون يقضون حياتهم بحثاً عن الغنى ، مع أن الغنى يجلب أخطاراً روحية كثيرة . فهو يعمل على تقسي النفس ، ويُغمض العيون عن الأمور الإيمانية ، ويساعدنا على نسيان الله . يقول يسوع : " ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله " (مر 10 : 23) .

إننا نحتاج أن نتعلم أن نكون حذرين جداً من الأنانية في هذه الأيام الأخيرة . " في الأيام الأخيرة ، سنأتي أزمنة صعبة ، لأن الناس يكونون مُحبّين لأنفسهم ، محبين للمال " (2تي 3 : 1 ، 2) . كثيرون من الأغنياء لا يقدّمون شيئاً على الإطلاق ، أو يقدمون القليل جداً بالنسبة لغناهم . لكن الكتاب المقدس يتحدث كثيراً ضد الأنانية ومحبة المال . اقرأ المثل الذي قاله الرب يسوع عن الغني الغبي ، الذي كان له غنى كثير ، لكنه " لم يكن غنياً لله " (لو 16 : 21) .

هل تمتلك مالاً ؟ إذا " انظر وتحفظ من الطمع " (لو 12 : 15) . بالتأكيد يمكنك أن تخلص ، لأن إبراهيم وأيوب وداود ، كانوا جميعاً أغنياء ، لكن فُكر في الخطر المُحدق بك . تذكر أن المال خادم صالح ، لكنه سيّد شرير . إن كان لديك القليل من المال أو أنك لا تملك مالاً ، فلا تحسد الذين هم أغنى منك . عليك أن تُشفق عليهم ، وتصلّي من أجلهم ، ولا تكن متسرّعاً في الحكم عليهم . فربما لو كنت في مكانهم لما كنت أفضل منهم . وتذكر أن محبة المال هي أصل لكل الشرور ، وأنتك يمكن أن تكون مُحبباً للمال ، حتى لو لم يكن لديك مالاً . احترس من أن تفكر أنك سوف تخلص لأنك فقير . لعازر لم يذهب إلى السماء لأنه كان فقيراً ، ولكن لأنه كان يملك المسيح .

هل تريد أن تعرف علاج الأنانية ؟

لا شيء سوى المعرفة الحقيقية لمحبة المسيح . يجب أن تعرف حالتك كخاطيء، وأن تختبر قوة دم المسيح لشفائك ، وأن تتذوق السلام مع الله خلال المسيح ، وأن تشعر بمحبة الله في قلبك، وعندما تعرف كم أنت مدين للمسيح ، عندئذ سوف تشعر أنه لا يوجد شيء أعظم من أن تقدمه له . الأنانية يمكن أن تكون مستترة خلف طبيعة حسنة ، أو خلف حب المديح ، أو خلف أفكار خاطئة عن إنكار الذات، لكن محبة المسيح فقط ، هي التي تستطيع أن تغيّرها تغييراً حقيقياً ، وأن تقودك إلى أن تحيا وتعمل من أجل المسيح .

### الخلاصة :

دعني أختم بثلاث كلمات للتطبيق :

1 - استحثك أن تمتحن نفسك، ما الذي تفعله ؟ إلى أين أنت ذاهب ؟ ماذا ستكون حالتك بعد الموت ؟ هذه تساؤلات مهيبه، أصلي أن يقود الروح القدس الكثيرين كي يسألوها لأنفسهم .

2 - أنا أدعو كل الذين يحتاجون إلى الخلاص ، أن يصلوا ليسوع المسيح الآن ، صلاة جادة . " اطلبوا الرب مادام يوجد ادعوه وهو قريب " (إش 55 : 6) . إنه يقبل الخطاة (لو 15 : 2) . لكن سيأتي اليوم الذي سيكون الوقت فيه متأخرا جداً ، مثلما اكتشف الرجل الغني ذلك .

3 - أناشد المؤمنين أن يعطوا بسخاء في كل أوجه الرحمة والصدقة . فأنت لا تستطيع أن تحتفظ بأموالك إلى الأبد ، يوماً ما سوف تعطي حساباً عن كل ما عملته بها . وأنا لا أقصد أن نعطي كل ما لدينا ، أو أن نهمل أعمالنا وأسرنا ، بل يجب علينا أن نعمل بجد ، وأن نوفر الاحتياجات المطلوبة منا . علينا أن نفكر ، كيف يمكننا أن نفعل أقصى ما نستطيع من خير بأموالنا ، في حياتنا القصيرة . هل يمكننا أن نقلل ما ننفقه على أنفسنا ، ونكثر ما ننفقه على الآخرين ؟ لننتذكر أننا جميعاً مثل لعازر من الناحية الروحية ، مرضى مطروحين لا حول لنا ، كالمائتين عند باب السماء ، حتى جاء يسوع وخلصنا . لقد عاش يعمل خيراً ، ومات على الصليب ليخلصنا . ليتنا نكون مثله في عمل الخير للآخرين .